

الحلقة السادسة

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن مثل القمح والزوان الذي كشف أن ملكوت الله هو ملكوت روحي يشمل العالم كله. وأن كل من يؤمن بالمخلص المسيح يدخل إلى هذا الملكوت ويصبح من أولاد الله.

صديقي المستمع، من حقائق الحياة أن كل شيء يبدأ صغيراً ثم ينمو. فالإنسان يولد طفلاً صغيراً ثم يكبر وينمو إلى أن يصبح شاباً يافعاً، ثم رجلاً بالغاً. وأيضاً فإن معرفة الإنسان تنمو وتزداد مع تقدم السنين. وهكذا النبات يزرع الفلاح بذوره، فتتم هذه البذور وتشق التربة، وتصبح نبتة، ثم شجرة كبيرة. استخدم المخلص المسيح هذه الحقائق المعروفة، لكي يوضح لنا بعض الحقائق الهامة عن ملكوت الله. فقال: « يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ البُزُورِ. وَلَكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ البُقُولِ، وَتَصِيرُ شَجَرَةً، حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَأَوَى فِي أَغْصَانِهَا » (بشارة متى ١٣: ٣١-٣٢).

إن حبة الخردل هي من أصغر جميع البزور، لكن عندما يزرعها الفلاح في حقله تنمو وتصير شجرة كبيرة، حتى إن طيور السماء تأتي وتتأوى تحت ظل أغصانها. وهذا يشير إلى النمو الكبير الذي يحصل لحبة الخردل الصغيرة. لقد أراد المخلص المسيح بهذا المثل أن يكشف أن ملكوت الله يبدأ صغيراً جداً وبهدوء كحبة الخردل التي تُزرع في التربة. لكن كما أن حبة الخردل تنمو وتصبح شجرة كبيرة، هكذا ملكوت الله سرعان ما ينمو ويكبر وينتشر في كل العالم، وتعم بركاته أو فوائده الكثيرين.

وعاد المخلص المسيح وكرر في مثل آخر الحديث عن هذه الحقيقة، أي حقيقة النمو المستمر لملكوت الله، فقال: « يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَأَتْهَا فِي ثَلَاثَةِ أَكْيَالٍ دَقِيقٍ حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ » (بشارة متى ١٣: ٣٣).

في مواضع أخرى من الكتاب المقدس تُستخدم الخميرة رمزاً للشر، لكن المخلص المسيح يستخدمها هنا كرمز إيجابي للنمو. فمع أن الخميرة عندما تضعها المرأة في الطحين تبدو عاملاً صغيراً لا أهمية له، لكنها تخمر العجين كله، ويصبح صالحاً للخبز والنضج. هكذا ملكوت الله تكون بدايته صغيرة جداً تكاد لا تُرى، لكنه سرعان ما ينمو ويترك تأثيره الإيجابي على العالم أجمع. أجل مستمعي، لقد بدأت رسالة الإنجيل المفرحة بداية متواضعة، لكنها سرعان ما انتشرت وعمت معظم البلدان. وهكذا نمت كنيسة المسيح وامتدت إلى كل أمم وشعوب الأرض.

لم يكن المخلص المسيح يتحدث إذن هكذا وبدون معنى. فلقد بدأت حقاً المسيحية بداية متواضعة جداً، لا يهتم بها أحد، في أورشليم أولاً، ثم في فلسطين. لكن بشارة الخلاص المفرحة سرعان ما أخذت تنتشر في آسيا وأوروبا وإفريقيا، وأميركا، وما تزال تعم جميع أنحاء العالم.

صديقي المستمع: ألم يكن المسيح محقاً إذن في هذين المثليين، مثل حبة الخردل ومثل الخميرة؟ أو لم تصدق نبوءته عن مستقبل ملكوت الله؟ وليس هذا فحسب بل إن هذا الملكوت لم يمتد أبداً بقوة السلاح، بل على العكس عمّ العالم أجمع، عن طريق الكرازة ببشارة الخلاص المفرحة. وهذا أمر مهم للغاية، ويؤكد صحة كلام المخلص المسيح عن أن ملكوت الله يبدأ صغيراً جداً، لكنه ينمو ويكبر، ويترك أثره الإيجابي على الكثير من المجتمعات. إن رسالة المسيحية هي المحبة ونكران الذات والإخلاص والصدق، وأن يترك الإنسان شروره ويعود إلى الله خالقه.

مستمعي الكريم، لقد انطلقت المسيحية من أورشليم بعد قيامة المسيح من بين الأموات، وصعوده حياً إلى السماء. وكان تلاميذ المسيح مجموعة من صيادي السمك، والناس البسطاء. لكن بعد حلول الروح القدس عليهم انطلقوا بشجاعة يكرزون برسالة الإنجيل المفرحة. ثم انتقلت رسالة الإنجيل إلى مدينة السامرة، وإلى كل أنحاء فلسطين وسورية. ودُعي المسيحيون أولاً في أنطاكية، والتي تقع في الشمال الغربي من سورية. ثم انتشرت رسالة الإنجيل في آسيا الصغرى والتي هي تركيا اليوم، واليونان، ووصلت إلى روما عاصمة الامبراطورية الرومانية آنذاك.

ورغم الاضطهاد الشديد والعنيف، وموت ألوف الشهداء، استمرت المسيحية في الانتشار. ووصلت بلاد العراق وأرمينيا وفارس والهند، وعمت شمال إفريقيا بدءاً من مصر، ثم القارة الأوروبية. وأطلق الامبراطور قسطنطين عام ٣١٢ ميلادية الحرية للمسيحيين. ثم أصبحت المسيحية ديانة الدولة الرسمية. وأتى اليوم الذي عمّت فيه المسيحية معظم أنحاء العالم، ونجد اليوم كنائس مسيحية في كل بلد، ومسيحيين من كل شعب. ولقد كان للمسيحية أثراً إيجابياً على ثقافة وحضارة الشعوب. وتم بذلك قول المخلص المسيح أن ملكوت الله يبدأ صغيراً جداً، لكنه ينمو ويمتد ويشمل العالم أجمع.

وأنت مستمعي ماذا عنك؟ ألا تود أن تدخل إلى ملكوت الله هذا؟ إن الدخول في ملكوت الله يعني أن تجعل المسيح المخلص ملكاً على حياتك. لم يبدأ المسيح ملكوت الله بالقوة، لكن كرّسه بموته الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات. وعندها دعا التلاميذ لكي يكرزوا بهذا الملكوت إلى كل أنحاء العالم. هذه هي بشارة ملكوت الله، أي بشارة الخلاص المفرحة، أن كل من يتوب عن خطاياها، ويؤمن بفداء المخلص المسيح، ينال الغفران عن ذنوبه، ويصبح المسيح ملكاً على حياته، ويحظى بالحياة الأبدية. وهكذا يدخل إلى ملكوت الله. فهل تود أن تكون من رعايا هذا الملكوت؟